ان شئتم ليالي وان شئتم اياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فان بعضها
يسلك ليلا لئلا يعلم العدو بهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو
اذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة ولما انقضى الخبر عن هذه الاوصاف
التي تستدعي غاية الشكر لما فيها من الالطاف دل على بطرهم للنعمة بانهم
جعلوها سببا للضجر والملال بقوله تعالى فقالوا اي على وجه الدعا ربنا
باعد بين اسفارنا اي الى الشام اي اجعلها مفاوز ليتطاولوا فيها على الفقراء
بركوب الرواحل وتزود الازواد والمافيظ والنجعة وملوا العافية كبني
اسرائيل لما طلبوا الثوم والبصل فاجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة
وقرا ابن كثير وابو عمرو وهشام بتشديد بدا العين ولا الف قبلها فعل طلب
والباقون بالف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر على انه شكوى
منهم لبعد افراطهم في الترفه وعدم الاعتداد بما انعم الله تعالى عليهم فيه
وظلموا حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة انفسهم بالكفر فجعلناهم
اي بما لنا من العظمة احاديث اي عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم تعجبا
وضرب مثل فيقولون ، ذهبوا ايدي سبا ، وتفرقوا ايادي سبا ،
قال كثير ، ايادي سبا يا عز ما كنت بعدكم ، فلم يحل للعينين بعدك منظر ،
ومزقناهم كل ممزق اي وفرقناهم في كل جهة من البلاد كل التفريق قال
الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد اما غسان فلحقوا بالشام
ومر الازد الى عمان وخزاعة الى تهامة ومر خزيمة الى العراق والاوس والخزرج
الى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر جد الاوس والخزرج ان في
ذلك اي المذكور لايات اي عبرا ودلالات بينة جدا على قدرة الله تعالى
على التصرف فيما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض بالايجاد والاعدام
للذوات والصفات بالخسف والمسخ فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان
بطرهم لتلك النعمة حتى ملوها ودعوا بازالتها دليل على ان الانسان ما دام
حيا فهو في نعمة يجب عليه شكرها كائنة ما كانت وان كان يراها بلية
لانه لما طبع عليه من القلق كثيرا ما يرى النعم نقما واللذة الما ولذلك ختم
الاية بالصبر بصيغة المبالغة بقوله تعالى لكل صبار على طاعة الله وعن
معصيته شكور لنعمه قال مقاتل يعني المومن من هذه الامة صبور
على البلا شكور على النعمة قال مطرف المومن اذا اعطى شكر واذا ابتلي صبر
وقرا قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس اي الذي هو من البلس وهو ما لا
خير عنده والابلاس وهو الياس من كل خير ليكون ذلك ابلغ في التبكيت والتوبيخ
ظنه الكوفيون بتشديد الدال بعد الصاد اي ظن فيهم ظنا حيث
قال فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك ولا تجد اكثرهم شاكرين فصدق
ظنه وحققه بفعله ذلك بهم وباتباعهم اياه والباقون بالتخفيف

اي صدق

اي صدق عليهم في ظنه بهم اي على امل سبا كما قاله اكثر المفسرين حين
راى انهماكهم في الشهوات او الناس كلهم كما قاله مجاهد اي حين راى
اباهم ادم ضعيف العزم او ما ركب فيهم من الشهوة والغضب او سمع من
الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها فقال لاضلنهم ولاغوينهم
او الكفار ومنهم سبا كما قاله الجلال المحلي فاتبعوه اي بغاية الجهد
بميل الطبع الا فريقا من المومنين استثنا متصل على قول مجاهد ومنقطع
على قول غيره قال السدي عن ابن عباس يعني المومنين كلهم لان المومنين
لم يتبعوه في اصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار او الا فريقا من
فرق المومنين لم يتبعوه في العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة
ان ابليس لما سال النظرة فانظره الله تعالى قال لاغوينهم ولاضلنهم
لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة ان ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا
فلما اتبعوه واطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم ولما كان ذلك ربما اوهم
ان ابليس امرا بنفسه نفاه بقوله تعالى وما اي والحال ما كان اصلا
له عليهم اي الذين اتبعوه ولا غيرهم واغرق فيما هو الحق من النفي
بقوله تعالى من سلطان اي تسلط قاهر بشي من الاشيا بوجه من
الوجوه لانه مثلهم في كونه عبدا عاجزا مقهورا ذليلا خائفا مدحورا
قال القشيري هو مسلط ولو امكنه ان يضل غيره لامكنه
ان يمسك على الهداية نفسه الا اي لكن نحن سلطناه عليهم
بسلطاننا وملكناه قيادهم بقهرنا وغرهم عن التمييز الذي هو سبب
العلم بالعلم فقال لنعلم اي بما لنا من العظمة من يومن اي يوجد الايمان
لله بالاخرة ليتعلق علمنا بذلك في عالم الشهادة في حال تميزه تعلقا
تقوم به الحجة في مجاري عادة البشر كما كان متعلقا به في عالم الغيب
ممن هو منها اي الاخرة في شك فهو لا يجد لها ايمانا اصلا
لان الشك ظرف له محيط به وانما استعار الا موضع لكن اشارة
الى انه مكنه تمكينا تاما صار به كمن له سلطان حقيقي تنبيه
قال الرازي ان علم الله من الازل الى الابد محيط بكل معلوم
وعلمه لا يتغير وهو في كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق علمه فان العلم
صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى ما في الازل
ان العالم سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه
معدوما كذلك المراة المصقولة الصافية يظهر فيها صورة زيد ان
قابلها ثم ان قابلها عمرو تظهر فيها صورته والمراة لم تتغير في ذاتها ولا
تبدلت في صفاتها وانما التغير في الخارجات كذلك هاهنا قوله الا لنعلم
اي ليقع في العلم صدور الكفر من الكافر والايمان من المومن وكان علمه قبل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)